من آراء الغزالي في الأبستيمولوجيا

إلياس بلكا *

تتجلى عبقرية أبي حامد الغزالي- المتوفى سنة 505هـ- في مظاهر عدة، من أبرزها أن الغزالي إمام لا في علم واحد فقط، بل في علوم شتى، بلغ في بعضها درجة لم يلحقه فيها إلا- أفراد قلائل في تاريخ الفكر. لهذا كتب الغزالي في الفقه وأصوله، وفي الفرق وعلم الكلام وفي المنطق والفلسفة، وأيضا في التصوف والتربية...

وهذا المقال يهدف إلى التعرف على بعض آراء الغزالي الأساسية في "فلسفة العقل" ونظرية المعرفة، وعلاقة ذلك بمجال العقائد والإيمان... وهذه القضايا كانت – وما زالت- هامة وحيوية.

مدارك المعرفة وترتيبها:

اعترف الغزالي بتنوع مدارك المعرفة ووجوه الاستدلال والتناظر فهي عنده(1):

1. الحساسيات، أي المدرك بالمشاهدة الظاهرة والباطنة.
2. العقل المحض. ومثل له الغزالي بمبدأ عدم التناقص، وذلك أن القسمة- من حيث الوجود- ثنائية، قال: فإن ادعى قسمها ثالثا كان منكرا لما هو بديهي في العقل.
3. التواتر، أي الخبر المستفيض الثابت.
4. نوع من القياس فيه"يكون الأصل مثبتا بقياس آخر يستند بدرجة واحدة أو درجات كثيرة، إما إلى الحسيات أو العقليات أو المتواترات". فهذا القياس- إذن- يؤول إلى أحد المدارك الثلاثة السابقة.
5. السمعيات، أي الوحي.
6. مسلمات الخصم، في حال المناظرة، حيث يكون الأصل مأخوذا من معتقدات الخصم ومسلماته، فإنه وإن لم يقم لنا عليه دليل، أو لم يكن حسيا ولا عقليا، انتفعنا باتخاذه إياه أصلا في قياسنا، وامتنع عليه الإنكار الهادم لمذهبه(2).
7. والذوق والمكاشفة الذوقية.

قال الغزالي- في ترتيب هذه المدارك من حيث سعتها أو أهميتها-: اعلم أنها متفاوتة في عموم الفائدة. فإن المدارك العقلية والحسية عامة مع كافة الخلق... وأما المتواتر فإنه نافع، ولكن في حق من تواتر إليه...وأما الأصل المستفاد من قياس آخر، فلا ينفع إلا مع من قدر معه ذلك القياس... وأما مسلمات المذاهب فلا تنفع الناظر، وإنما تنفع المناظر مع من يعتقد

ذلك المذهب. وأما السمعيات فلا تنفع إلا من يثبت السمع عنه...(3) وكذلك المكاشفة لا تنفع إلا صاحبها، أو من يقلده فيها.

لكن الإنسان لا يزود بهذه المدارك دفعة واحدة، بل على التدرج. فهو- في البداية- يكون خاليا لا- يعرف شيئا. ثم يعرف العالم- أولا- بواسطة الحواس. وأول ما يخلق فيه منها- يرى الغزالي- هو حاسة اللمس، ثم البصر، ثم السمع، ثم الذوق... ويستمر الطفل معتمدا على حواسه إلى أن يخلق فيه التميز- وهو قريب من سبع سنين- فيجاوز عالم المحسوسات ويدرك أمورا زائدة عليه، وهو طور من أطوار وجوده... ثم يترقى إلى طور ثالث، فيخلق له العقل، وبه يدرك الواجبات والجائزات والمستحيلات...(4)

أقسام العقل:

وهذا أحد أقسام العقل، وهو- إلى حد كبير- العقل المنطقي القائم على مبدأ عدم الجمع بين النقيضين وارتفاع التناقض. وذلك أن الغزالي يرى أن اسم العقل يطلق بالاشتراك على أربعة معان، بل إنه يتفاوت بتفاوت الناس(5). والقسم الأخر هو الوصف الذي يفارق الإنسان به سائر البهائم، وهو الذي استعد به لقبول العلوم النظرية وتدبير الصناعات الخفية الفكرية. وهو الذي أراده المحاسبي حيث قال في حد العقل: إنه غريزة يتهيأ بها إدراك العلوم النظرية، وكأنه نور يقذف في القلب به يستعد لإدراك الأشياء(6). وسائر الأقسام هي الثالث: علوم تستفاد من التجارب بمجرى الأحوال... الرابع: أن تنتهي قوة تلك الغريزة إلى أن يعرف عواقب الأمور ويقمع الشهوة الداعية إلى اللذة العاجلة...(7) فهذان عقلان: عقل تجريبي، وعقل أخلاقي.

أصل المبادئ الأولية للعقل:

وذلك كقولنا الكل أكبر من الجزء، ولكل حادث محدث، واستحالة الجمع بين النقيضين... ونحو ذلك مما اختلف فيه الفلاسفة على رأيين: فمن قائل إنها فطرية تولد مع الإنسان، ومن قائل إنها تكتسب مع الوقت ومن تجارب الإنسان. والأولون اختلفوا، فاعتبر بعضهم أن أصل هذه المبادى إلهية فهي عطاء الخالق لخلقه؛ وقال آخرون: إنها تعود إلى بداهة العقل فلذلك تفرض نفسها بنفسها. ويبدو أن الغزالي متردد بين الرأيين الأخيرين، أو لعله يرى الأفكار الأولى تثبت بالفطرة الإلهية وبالعقل البدهي معا، أو نقول- في نوع من الجمع بين الرأيين-: إن الفطرة الإلهية وضعت في الإنسان هذه المبادئ على درجة من السلطة والبداهة لا تترك للإنسان سببا ولا فرصة للشك فيها. ولعل هذا ما يمكننا أن نحمل عليه هذا النص حول العلوم العقلية، قال الغزالي: ونعني بها ما تقضي بها غريزة العقل ولا توجد بالتقليد والسماع. وهي تنقسم إلى: ضرورية، لا- يدري من أين حصلت وكيف حصلت. كعلم الإنسان بأن الشخص الواحد لا يكون في مكانين والشي الواحد لا يكون قديما، موجودا معدوما معا. فإن هذه علوم يجد الإنسان نفسه منذ الصبا مفطورا عليها، ولا يدري له سببا قريبا، وإلا- فليس يخفى عليه أن الله هو الذي خلقه وهداه. وإلى علوم مكتسبة، وهي المستفادة بالتعلم والاستدلال. وكلا القسمين يسمى عقلا.(8)

النبوة... طور وراء العقل:

وإذا كان الحس مجرد مرحلة في الإدراك، يأتي بعدها دور آلة أخرى في التعرف على الموجودات هي العقل... فلا شيء يثبت أن هذا العقل هو آخر المدارك، وأن ليس فوقه طور آخر وإدراك آخر... وهو النبوة. يقول الغزالي: الإيمان بالنبوة أن يقر بإثبات طور وراء العقل، تنفتح فيه عين يدرك بها مدركات خاصة، والعقل معزول عنها كعزل السمع عن إدراك الألوان، والبصر عن إدراك الأصوات، وجميع الحواس عن إدراك المعقولات(9). وكما أن المميز لو عرضت عليه مدركات العقل لأباها واستبعدها، فكذلك بعض العقلاء أبى مدركات النبوة واستبعدها.وذلك عين الجهل، إذ لا مستند له إلا أنه طور لم يبلغه ولم يوجد في حقه، فيظن أنه غير موجود في نفسه... وقد قرب الله تعالى ذلك على خلقه بأن أعطاهم نموذجا من خاصية النبوة، وهو النوم(10). وذلك لأنه في النوم تحدث الرؤيا التي يدرك بها الإنسان بها بعض الغيب، رغم ركود جسم النائم وغيبته عن الوعي. فالمنام يعطينا فكرة عن النبوة، لأنه أسلوب غير معتاد في الإدراك البشري، ليس من جنس المحسوسات ولا المعقولات... وليس لك أن تقول: إنني أقتصر على تصديق ما جربته فقط. لأن هذا في الحياة لا يمكن الوفاء به دائما، والإنسان يعجز عن تجربة كل شي بنفسه. ولذلك هو محتاج للنبوة ومضطر إليها، ولو بالتقليد.(11)

لكن فيم تفيد النبوة مع توفر الإنسان على نور العقل، فإنها إن وافقته كانت زائدة، وإن خالفته كيف نصدقها؟ يجيب الغزالي:

"إن النبي -صلى الله عليه وسلم- يرد مخبرا بما لا تشتغل العقول بمعرفته، ولكن تستقل بفهمه إذا عرف؛ فإن العقل لا يرشد إلى النافع والضار من الأعمال والأقوال والأخلاق والعقائد، ولا يفرق بين الشقي والسعيد، كما لا يستقل بدرك خواص الأدوية والعقاقير. ولكنه إذا عرف فهم وصدق وانتفع بالسماع، فيجتنب الهلاك ويقصد المسعد، كما ينتفع بقول الطبيب في معرفة الداء والدواء. ثم كما يعرف صدق الطبيب بقرائن الأحوال وأمور أخر، فكذلك يستدل على صدق الرسول عليه السلام بمعجزات وقرائن وحالات، فلا فرق. (12) فكل من الدين والعقل هداية مزدوجة وضرورية للبشر.

ازدواج العقل والشرع:

إن الغزالي لا يلغي العقل لصالح الوحي، أو لصالح الإشراق الصوفي. بل للعقل- عنده- مكانته، ولذا تحدث- في الإحياء(13)، وغيره- عن: شرف العقل... فلا بد من العقل والشرع معا، قال: لا غنى بالعقل عن السماع، ولا غنى بالسماع عن العقل. فالداعي إلى محض التقليد مع عزل العقل بالكلية جاهل، والمكتفي بمجرد العقل عن أنوار القرآن والسنة مغرور. فإياك أن تكون من أحد الفريقين، وكن جامعا بين الأصليين...(14) فالعقل مع الشرع: نور على نور...(15) ولذلك حين ذم بعض المتصوفة العقل، أجابهم الغزالي بأن العقل" نور البصيرة التي بها يعرف الله ويعرف صدق رسله، فكيف يتصور ذمه وقد أثنى الله تعالى عليه. وإن ذم فما الذي بعده يُحمد؟(16) لكن كيف الخروج من حالة

اختلاف فحوى النصوص من مقتضيات العقل؟

قاعدة في تعارض النقل والعقل:

وقد ذكر الغزالي الجواب على هذا السؤال ضمن قاعدة عامة في علاقة الوحي بالعقل(17). وذلك أن في الأشياء ما يعلم بدليل العقل دون الشرع، وإلى ما يعلم بالشرع دون العقل، وإلى ما يعلم بهما معا. فمثال الأولى: حدوث العالم، ووجود محدثه، وصفاته من قدرة وعلم وإرادة... ومثال الثانية: أمور الآخرة. وذلك أن العقل يجوز وقوع كلا الأمرين، ودور السمع هو تخصيص أحد الجائزين بالوقوع، وذلك حين يعين الوحي الواقع منهما(18).

أما ما توارد الشرع والعقل منهما.

1- إن العقل مجوزا لما أخبرنا به الوحي، فيجب تصديقه، سواء كان السمع قطعيا أم ظنيا.

2- فإن قضى العقل بالاستحالة... أوّلنا السمع، أي حملناه على المعنى الآخر الذي يحتمله النص، والذي كان- من قبل- مرجوحا. وذلك- كما قال الغزالي- لأنه "لا يتصور أن تشمل السمع على قاطع مخالف للعقول"(19).

والجدير بالذكر أن الاستحالة التي يعنيها الغزالي هي: الاستحالة المنطقية، لا العادية- أي التي تخرق العادة الجارية- ولا الطبيعة- أي التي تخالف مألوفاً في الخارج-، بل التي تناقض تماما المبادى العقلية الأولى.

3- فإن توقف العقل، فلم يحكم بجواره ولا استحالة، وجب التصديق أيضا بأدلة الوحي، "إذ يكفي في وجوب التصديق: انفكاك العقل عن القضاء بالإحالة، وليس يشترط اشتماله على القضاء بالتجويز(20). أي يقول العقل: هذا ليس بمستحيل ولا أدري هل هو جائز. وإنما لا يحكم العقل على الشرع، لان " العقل قاصر ومجاله ضيق منحصر(21).

في نسبية المعرفة البشرية:

ويضرب الغزالي مثالا- لهذا القصور وللحدود التي يخضع لها العقل، فيروي لنا هذه الحكاية: "اعلم أن جماعة من العميان قد سمعوا أنه حمل إلى البلدة حيوان عجيب يسمى الفيل، وما كانوا قط شاهدوا صورته ولا سمعوا اسمه. فقالوا لابد لنا من مشاهدته ومعرفته باللمس الذي نقدر عليه، فطلبوه، فلما وصلوا إليه لمسوه، فوقع يد بعض العميان على رجليه، ووقع يد بعضهم على نابه، ووقع يد بعضهم على أذنه، فقالوا قد عرفنا. فلما انصرفوا سألهم بقية العميان فاختلفت أجوبتهم، فقال الذي لمس الرجل: إن الفيل ما هو إلا مثل أسطوانة خشنة الظاهر، إلا أنه ألين منها. وقال الذي لمس الناب: ليس كما يقول، بل هو صلب لا لين فيه، وأملس لا خشونة فيه. وليس في غلظ الاسطوانة أصلا بل هو مثل عمود. وقال الذي لمس الأذن: لعمري هو لين، وفيه خشونة.. ولكن.. ما هو مثل عمود ولا

هو مثل أسطوانة، وإنما هو مثل جلد عريض غليظ. فكل واحد من هؤلاء صدق من وجه، إذ أخبر كل واحد عما أصابه من معرفة الفيل، ولم يخرج واحد في خبره عن وصف الفيل، ولكنهم بجملتهم قصروا عن الإحاطة بكنه صورة الفيل. فاستبصر في هذا المثال واعتبر به، فإنه مثال أكثر ما اختلف الناس فيه"(22). فالمعرفة البشرية لا تحيط بموضعها من جميع نواحيه، بل تتعلق بأطراف أو أجزاء منه فقط... ولذلك تجد من ينكر أمور الغيب- كنعيم القبر وعذابه- ويستبعدها، لمجرد أنه لم يصادفها في تجارب حياته، ويقول: إنا نرى شخص الميت مشاهدة، وهو غير معذب. ويرد عليه الغزالي بأن هذا ممكن ينكر على النائم أحواله، لأنه يراه ساكنا لا يتحرك. قال: بل الناظر إلى ظاهر النائم لا يشاهد ما يدركه النائم من اللذة عند الاحتلام ومن الألم عند تخيل الضرب وغيره. ولو أنتبه النائم وأخبر- عن مشاهداته وآلامه ولذاته- من لم يجر له عهد بالنوم، لبادر إلى الإنكار اغترارا بسكون ظاهر جسمه... فتعسا لمن ضاقت حوصلته عن تقدير اتساع القدرة لهذه الأمور المستحقرة بالإضافة إلى خلق السماوات والأرض وما بينهما، مع ما فيهما من العجائب..(ف) ما لا برهان على إحالته لا ينبغي أن ينكر بمجرد الاستبعاد(23).

وهذا منشأ غلط الفلاسفة، قال الغزالي: أكثر براهين الفلاسفة في الطبيعيات والإلهيات مبني على هذا الجنس، فإنهم تصوروا الأمور على قدر ما وجدوه وعقلوه، وما لم يألفوه قدروا استحالته(24).

خطر العادة:

وينفرد الغزالي عن كثير من المفكرين قبله بالتنبيه على عامل هام يحد من العقل ومن قدراته، ألا وهو العادة- بما فيها العادة الفكرية- فهي تجعل الوهم يسبق إلى ما ألفة الإنسان واستأنس به، أو رآه، أو اقترن – في تجاربه- بأمر ما؛ فقد خلقت قوى النفس مطيعة للأوهام والتخيلات بحكم إجراء العادات(25). وشرح ذلك الغزالي بما عرف- فيما بعد- بـ الارتكاس الشرطي لبافلوف.(26)

ولذلك كان بلوغ كمال الموضوعية في النظر إلى الأشياء... أمرا صعبا جدا، قال: وأما اتباع العقل الصرف فلا يقوى عليه إلا أولياء الله تعالى الذين أراهم الله الحق حقا وقواهم على اتباعه. وإن أردت أن تجرب هذا في الاعتقادات فورد على فهم العامي المعتزلي مسألة معقولة جلية فيسارع إلى قبولها، فلو قلت له إنه مذهب الأشعري- رضي الله عنه- لنفر وامتنع عن القبول وانقلب مكذبا بعين ما صدق به، مهما كان سيء الظن بالأشعري، إذ كان قُبح ذلك في نفسه منذ الصبا. وكذلك (العكس، أي تعرض على الأشعري مذهب المعتزلي دون أن يعرف ذلك في البداية)... ولست أقول هذا العوام، بل طبع أكثر من رأيته من المتوسمين باسم العلم... وإنما الحق ضده، وهو أن لا يعتقد شيئا أصلا، وينظر إلى الدليل ويسمى مقتضاه حقا ونقيضه باطلا...(27)

قصور العقل في الإلهيات ونموذج علم الكلام:

وأكثر ما يتجلى عجز العقل عن الإحاطة بالوجود... في موضوع الإلهيات بصفة خاصة، وشؤون الغيب على العموم. ولهذا لم يتوسع الوحي في إخبارنا ببعض الحقائق الغيبية، مثل صفات الباري، قال الغزالي: لأنه "لو ذكر في صفاته ما ليس للخلق مما يناسبه بعض المناسبة شيء، لم يفهموه... وبالجملة فلا يدرك الإنسان إلا نفسه وصفات نفسه مما هي حاضرة له في الحال، أو مما كانت له من قبل. ثم بالمقايسة إليه يفهم ذلك لغيره، ثم قد يصدق بأن بينهما تفاوتاً في الشرف والكمال. فليس في قوة البشر إلا أن يثبت لله تعالى ما هو ثابت لنفسه من الفعل والعلم والقدرة وغيرها من الصفات مع التصديق بأن ذلك أكمل وأشرف، فيكون معظم تحويمه على صفات نفسه، لا- على ما اختص الرب تعالى به من الجلال(28).

ولا يعتقد الغزالي أن علم الكلام قادر على الوصول إلى حقائق الأمور، قال وأما منفعته فقد يظن أن فائدته كشف الحقائق ومعرفتها على ما هي عليه. وهيهات، فليس في الكلام وفاء بهذا المطلب الشريف، ولعل التخبيط والتضليل فيه أكثر من الكشف والتعريف. وهذا إذا سمعته من محدث أو حشوي ربما خطر ببالك أن الناس أعداء ما جهلوا، فاسمع هذا ممن خبر الكلام ثم قلاه بعد حقيقة الخبرة وبعد التغلغل فيه إلى منتهى درجة المتكلمين، وجاوز ذلك إلى التعمق في علوم أخر تناسب نوع الكلام، وتحقق أن الطرق إلى حقائق المعرفة من هذا الوجه مسدود. ولعمري لا- ينفك الكلام عن كشف وتعريف وإيضاح لبعض الأمور ولكن على الندور في أمور جلية تكاد تفهم قبل التعمق في صنعة الكلام(29)... وذلك لأن لعلم الكلام دورا محددا هو تثبيت العقيدة والرد على من يورد عليها شبها عقلية، فأما" كشف الحقائق ومعرفة الأشياء على ما هي عليه، وإدراك الأسرار التي يترجمها ظاهر ألفاظ هذه العقيدة، فلا مفتاح له إلا المجاهدة وقمع الشهوات والإقبال بالكلية على الله تعالى وملازمة الفكر الصافي عن الشوائب المجادلات(30). فالتعبد والمكاشفة يقربان حقائق العقيدة أكثر مما تفعله صنعة الكلام.

ولكن لما كان لهذه الصنعة دورا تقوم به، على كل حال... فإن الغزالي اختار التفصيل في الحكم على الكلام، فقال: "اعلم أن الحق فيه أن إطلاق القول بذمه في كل حال، أو بحمده في كل حال: خطأ، بل لابد فيه من تفصيل.(31) والقدر الضروري منه" أنه لابد في كل بلد من قائم بهذا العلم مستقل يدفع شبه المبتدعة التي ثارت في تلك البلدة، وذلك يدوم التعليم (أي لابد من تدريس الكلام لضمان استمراره). ولكن ليس من الصواب تدريسه على العموم، كتدريس الفقه والتفسير...(32) فهو- إذن- فرض كفاية تقوم به نخبة من أهل العلم الذين يحرصون ما أمكن على لجم العوام عن الاهتمام بقضايا هذا العلم.

الغزالي والفلسفة:

نقد الغزالي الفلسفة المشائية نقد خبير مطلع، ولم يتهمه أحد بجهلها وجهل مراميها البعيدة. بل إن الغزالي- قبل أن يتفوق في نقد الفلسفة الإغريقية، كما صاغها الفارابي وابن سينا- كان قد تفوق في عرضها وشرحها. ولذلك يعتبر كتابه" مقاصد الفلاسفة" من خيرة

الكتب التي ينصح بها المختصون كل من يريد الاطلاع على فلسفة المشائين وفهمها.

وقد كانت أول مرحلة في النقد الذي قام به الغزالي هو تمييز علوم الفلاسفة، وإعطاء كل علم منها حكما خاصا. فهو -مثلا- حين ذكر الطبيعيات، أورد أقسامها، ومنها ما يتعلق بالأجسام وأحوالها، والمعادن، والنبات، والحيوان، والطب، والفلك، والكيمياء...إلخ. وذلك "ليعرف أن الشرع ليس يقتضي المنازعة فيها ولا إنكارها... وليس يلزم مخالفتهم شرعا في شيء من هذه العلوم"(33). إلا في أربعة مواضع: الأول: حكمهم بأن الاقتران المشاهد في الوجود بين الأسباب والمسببات اقتران تلازم ضروري لا يتخلف. والغزالي يرى- مع الأشاعرة- أنه اقتران لا عقلي، وهذه النظرية أخذ بها فيما بعد مالبرانش وهيوم وبعض الوضعيين. والمواضع الأخرى سبق ذكرها، كإنكار بعض الفلاسفة لخلود النفس، والبعث الأخروي بالأجساد(34)...

فمن الواضح أن هجوم الغزالي كان على الميتافيزيقيا، لا- على الفلسفة بجميع فروعها (أيام كانت موسوعية). فقد اعترف الغزالي بقيمة علوم الرياضيات والمنطق والتجريبيات والطبيعيات... في حين وجد أن قسم الإلهيات- في الفلسفة- نموذج مظلم للخبط والخلط. وهذا الموقف جد متقدم، بل- لو نظرنا إليه بمنطق العصر- وجدناه موقفا حداثيا ممتازا. لكن الذين لهم أزمة فكرية تجاه تاريخ الأمة وتجاه جسمها الأكبر ومثليهما من العلماء والمفكرين... يرفضون هذا الموقف العقلاني العظيم لأبي حامد وأمثاله، ويرتدون قرونا إلى الوراء، فيفضلون عليه فلسفات اليونان وأحلام أفلوطين في" نظرية الفيض"، معتبرين أنها نموذج العقلانية الموؤدة في تاريخ الإسلام. لكنهم إذا قرءوا لكانط، هللوا له وصفقوا... برغم أن الغزالي هدم الفلسفة الميتافيزيقية بالشرق، قبل أن يهدمها كانط بالغرب... وهكذا تتقلب كل الأوضاع رأسا على عقب: فنقد الغزالي لمبدأ السببية كارثة أصابت العقل العربي الإسلامي لكن هذا النقد نفسه إذا صدر عن هيوم اعتبر فتحا جديدا في عالم الفكر والفلسفة!

لقد كان عمق الاختلاف بين الغزالي والمشائين ابستيمولوجيا، فالمعرفة عند هؤلاء لا تأتي من التجربة، بل أصلها ما يسمونه: إشراق الصور العقلية من العقل الفعال على العقل الإنساني. ولذلك اعتبروا العقل قوة العقل مطلقة قادرة على النفاذ إلى كل شيء وفهم كل حقيقة... ومن ثم، فهو قادر على الاستقلال بالمعرفة، ولا يحتاج لوحي ولا رسالة... ولا للتجربة... يكفي التأمل... والغزالي يرفض هذا الموقف المتخلف، والذي كان مسؤولا عن تضليل قسم كبير من البشرية، على مستوى الاعتقاد... كما كان مسؤولا عن التأثير في نمو العلم والتقنية، بإلغائه للتجربة، أو تقليله من أهميتها.

فهنا كان رأي الغزالي واضحا وهاما: إن العقل بطبيعته عاجز عن إدراك حقائق الأمور في الإلهيات، وليس هذا ميدانه(35)... بل ميدانه هو العالم المشاهد، والسبيل في فهمه ومعرفته هو التجربة والملاحظة، لا العقل بمجرده.

ويوجد عامل هام يفسر لنا سبب نجاح نقد الغزالي للفلاسفة، بل- أهم من ذلك- يفسر

لماذا لم تلق الفلسفة اليونانية والمشائية قبولا واسعا في البيئة الإسلامية... وهذا العامل شرحه جيدا المرحوم محمود عبد الحليم، حيث قال: إن البحث العقلي في الإلهيات أمر طبيعي بالنسبة للمفكرين الذين نشأوا في أقاليم لم يوجد فيها كتاب مقدس. من الطبيعي أن يوجد في هذه الأقاليم رجال يحاولون ابتداع مذهب فيما وراء الطبيعة. ذلك أن الإنسان بفطرته طلعة، وهو يحاول دائما معرفة العلل والأسباب، ويتشوف إلى رؤية المجهول، ويتطلع إلى الكشف عن عالم الغيب. أما في البيئات التي فيها نص مقدس، يحتفظ بنضرته، ولا يشك إنسان في صحته، فإنه من غير الطبيعي أن تنشأ بجوار هذا النص المعصوم اختراعات ذهنية تتصل بعالم الغيب. إن ثمرة التفكير الإنساني عرضة للخطأ. والخطأ في الذات الإلهية، الخطأ في عالم الغيب- على وجه العموم- فيه خطورة كبيرة. الطريق المستقيم –إذن – هو ألا ينشأ بجوار النص المقدس اختراع عقلي يتصل بعالم الغيب(36)...

****

المصادر والمراجع:

1. إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي. طبعة 2، 1992. دار الكتب العلمية، بيروت.
2. التفكير الفلسفي في الإسلام، عبد الحليم محمود. دار الكتب اللبناني، بيروت،1982.
3. تهافت الفلاسفة، للغزالي. تحقيق سليمان دنيا. دار المعارف بمصر، طبعة 2، 1955.
4. الاقتصاد في الاعتقاد، للغزالي. دار الكتب العلمية، بيروت. ط1، 1988.
5. المنقذ من الضلال، للغزالي. مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت. ط3، 1991.

****

الهوامش

*باحث من الجمهورية اللبنانية.

1-. راجع: الاقتصاد في الاعتقاد، ص15 إلى 17. إحياء علوم الدين3/17-18.

2- الاقتصاد. ص 17.

3- الاقتصاد. ص 17-18.

4- المنقذ من الضلال، ص50-51.

5- انظر: إحياء علوم الدين،1/87.85.

6- الإحياء: 1/85.

7- الإحياء: 1/85-86.

8- الإحياء، 3/18.

9- المنقذ من الضلال، ص62.

10- المنقذ من الضلال، ص51-52.

11- المنقذ من الضلال، ص65.

12- الاقتصاد في الاعتقاد، ص123.

13- 1/28 فما بعدها.

14- الإحياء، 3/19. ومثله في: الاقتصاد، ص3- 4.

15- الاقتصاد، ص4.

16- الإحياء، 1/89.

17- الاقتصاد، ص123-133.

18- الاقتصاد، ص123-133.

19- الاقتصاد، ص133.

20- الاقتصاد، ص133.

21- الاقتصاد، ص4.

22- الإحياء،4/8.

23- الاقتصاد ص 135-136.

24- المنقذ في الضلال، ص63.

25- الاقتصاد، ص109.

26- الاقتصاد ص 109.

27- الاقتصاد ص 106-107.

28- الإحياء، 1/101.

29- الإحياء،1/97.

30- الإحياء،1/99.

31- الإحياء،1/97.

32- الإحياء،1/99.

33- تهافت الفلاسفة، ص220-222.

34- تهافت الفلاسفة، ص220-222.

35- راجع: مسألة في تلبيسهم بقولهم إن الله فاعل العالم وصانعه... وكذلك: آخر المسألة، وهي "اتفقت الفلاسفة على استحالة إثبات العلم والقدرة والإدارة للمبدأ الأول..."؛ وذلك في: تهافت الفلاسفة، ص222.

36- التفكير الفلسفي في الإسلام، ص463.